الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الأدب الرمزي

يزور مصر الآن السيد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية علماء الجزائر . وقد اجتمعنا به في ندوة الشورى مع طائفة من الشخصيات العربية والمصرية منها السيد القضيل الورتلاني والكولونيل عبد الله التل والسيد الوزاني الزعيم المراكشي والأستاذ الشافعي اللبان والسيد محمد علي الطاهر صاحب الشورى ودار الحديث حول ما تقوم به جمعية علماء الجزائر من نشاط في سبيل نشر العلم والثقافة بالوسائل الشعبية في الجزائر ، وقال السيد الإبراهيمي إن هناك ٤٠٠ مدرس هم مجندون لتثقيف الشعب ، وإنهم أشبه بالعباد المتجردين في سبيل أداء هذا الواجب المقدس

ومما يذكر أن جمعية العلماء التي أنشأها السيد عبد الحميد ابن باديس وخلفه على قيادتها السيد الإبراهيمي بعد وفاته ، هي إحدى الدعامات الضخمة القوية التي أفزعت الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا وأقضت مضجعه

فقد عملت هذه « الحركة » منذ فجر نشأتها على مقاومة البدع التي انتشرت في المغرب وأعان عليها الاستعمار ، ودعت إلى العودة إلى الإسلام في منابعه الأولى ؛ ووقفت للطرق الصوفية بالمرصاد على أساس أنها مصدر الشر والستار الذي يخفي خلفه الاستعمار ويتخذ منه سبيله إلى تفسير بعض الآيات القرآنية التي تدعو إلى طاعة الله ورسوله وأولي الأمر تفسيرا خاطئا

ولقد تطرق الحديث إلى « الوسائل » التي يستطيع بها رجال جمعية العلماء إعلان آرائهم دون أن يقف الاستعمار في وجههم ، فقال لنا السيد البشير الإبراهيمي إن الأدب الرمزي هو الوسيلة الوحيدة لهذا ، وإنه قد ابتدع لونا من فنون الأدب هو « سجع الكهان » . . . استطاع عن طريقه أن يفصح عن كثير من آرائه الجريئة الحرة في الكثير من المسائل والأشخاص . وكانت جريدة البصائر التي تصدر في الجزائر مبدانا لهذا اللون الجميل من الأدب

وقد روى لنا أكثر من أرجوزة من هذا السجع ، صور فيها رأيه من كثير من القضايا العربية والإسلامية ما كان من المستطاع الإشارة إليها عن طريق الكتابة العادية

وليس من شك أن اللغة العربية كانت خلال حياتها الطويلة ظهيرا لأصحاب الآراء الحرة في إذاعة آرائهم وتسجيلها عن طريق الأدب الرمزي في الأوقات التي كان يحال فيها بين الأحرار وبين إعلان آرائهم عن طريق الكتابة الصريحة . .

وليس قصائد اللزوميات التي أنشأها المعري ، وليست رسالة الغفران والفصول والغايات جميعها إلا من هذا الأدب ، وقد كان صاحبها لا يستطيع أن يقول للناس كل شيء في صراحة فكان يضمن شعره هذه المعاني ويدعها ليفهمها من يفهمها على الوجه الذي يريد

وليس كتاب البخلاء وغيره من آثار الجاحظ إلا « أدبا رمزيا » قصد به الجاحظ إلى تصوير بعض الشخصيات التي كانت تعيش في عصره ، ولم يكن يستطيع أن يجهر بهجائها وإعلان الخصومة لها فوجد في هذا الأدب الرمزي منفذا إلى الحديث عنها

وقد اتخذ هذا الأسلوب من الأدب الرمزي كثيرون من الكتاب في عصرنا الحديث في مقدمتهم الدكتور طه حسين . وهو يقول في مقدمة كتابه « المعذبون في الأرض » الذي صدر أخيراً

« هذا الأدب الجديد الذي أنشأته حكومات الطغيان إنشاء حين اضطرت الكتاب إلى العدول عن الصراحة إلى فنون من التعريض والتلميح . ومن الإشارة والرمز ، حتى استقل هذا الأدب بنفسه وتنافس القراء عليه تنافسا شديداً ، وجعلوا يقرأون ويؤولون ، ويناقش بعضهم بعضا في التأويل والتحليل واستخراج المعاني الواضحة من الإشارات الغامضة . وانظر إلى ما نشر صاحب هذا الكتاب من جنة الشوك وجنة الحيوان ، ومرآة

الضمير الحديث ، وأحلام شهر زاد فلن ترى إلا رمزاً لظاهر كنا نبغضها ولا نستطيع أن نتحدث عنها فى صراحة أثناء تلك الأيام السود : فكنا نؤثر الغموض على الوضوح ، والرمز والألغاز على التصريح ، والإشارة والتلميح على تسمية الأشياء بأسمائها ، وكانت حكومات ذلك العهد ورقابتها تقرأ فلا تفهم فتخلى بين الكتاب وما يكتبون ، وتخلى بين القراء وما يذاع فيهم من ذلك الأدب الجديد »

اللهجات العربية

ومما دار من حديث فى ندوة « الشورى » ما أثاره الأستاذ الشافعى اللبان من أنه كان خلال فترة الصيف فى جنيف لايفهم كثيرا اللهجات العربية المغربية ، ومما قاله فى هذا أنه استمع إلى بعض أهالى المغرب وهم يتحدثون ، فوجد أنه لا يستطيع أن يفهم منهم كثيراً مع أنهم يتكلمون باللغة العربية وكان يسأل فى هذا السيدين الوزانى والفضيل

وقد أجاب الأستاذ الفضيل على هذا بأن فى اللغة العربية كلها حوالى ١٥٠ كلمة هى التى تحول دون فهم أهالى البلاد العربية بعضهم بعضا وهى ليست كلمات عربية بالطبع ، وإنما هى كلمات عامية أو لهجات

وبينما يعتبر المغربيون أنفسهم يتكلمون اللغة العربية الخالصة ، لا يجد المصريون والذين هم فى مثل ثقافة الأستاذ الشافعى اللبان قدرة على فهم الكثير من أحاديث أهل المغرب ، ومثل هذه المشكلة تقع بالنسبة للمغربى والشامى أو بين المصرى والعراقى

ومما قاله السيد الفضيل الورتلانى : أنه أحصى أثناء إقامته فى بيروت حوالى ٦٠ كلمة (لبنانية — سورية) هى الحائل بين فهم المغاربة للهجات الشوام . وكذلك فى لغة المغاربة حوالى ٤٠ كلمة ؛ فلو أن كتابا وضع فى بيان هذه الكلمات وشرحها والتقريب بين المتشابه منها فى اللهجات المختلفة لأمكن تضييق شقة هذا الخلاف اللغوى ولأصبح العراق مفهوما فى المغرب والمغربى مفهوما فى مصر

محمد فريد « المؤرخ »

فى الأسبوع الماضى ، كان موعد ذكرى محمد فريد « قديس الوطنية المصرية » كما أطلق عليه ذلك الأستاذ عبد الرحمن الرافعى المؤرخ الكبير ، وفريد خليق حقا بهذا اللقب فقد ضحى فى سبيل بلاده بكل شئ وكان علما خالدا على التضحية فى تاريخ مصر والشرق جميعا

.. ولكن « محمد فريد » يدخل فى هذه الصفحة أيضا من باب الأدب ، فقد كان كاتبا من أعلام الكتابة والبيان ، ومؤرخا غاية فى القوة والتثبت والوضوح وهى أبرز علامات الكاتب الناضج والمؤرخ المنصف

حدثنى أول أمس الأستاذ محمد على الطاهر المجاهد العربى وصاحب الشورى ، وقد رأيت معه كتابا ضخما يعنى بتجليده ، وتغليفه ويبذل فى ذلك جهدا كبيرا ؛ فلما سألته عنه قال هذا كتاب قرأته فى خلال ثلاثين عاما ، مرتين .. وأنا أقرأه اليوم للمرة الثالثة

قرأته سنة ١٩٢٢ فى طبعته الأولى وسنة ١٩٣٥ فى طبعته الثانية وأنا اليوم أقرأ طبعته الثالثة ، إنه كتاب الدولة العثمانية الذى ألفه قديس الوطنية المصرية محمد فريد وهو من أوفى الكتب التاريخية فى هذا الباب

وذهب الأستاذ الطاهر يصور الكتاب ومؤلفه فى صورة رائعة حية ، تدل على مدى تقديره لهما

وإذا ذهبنا اليوم نسأل عن محمد فريد فى محيط الحياة المصرية لم نجد له أثرا ! فما هى ذكراه تمر ، ثم يكتب فيها إلا فصل واحد فى جريدة اللواء الجديد

وإذا أخذنا ننظر إلى مجموعة التماثيل المنثورة فى أنحاء القاهرة لم نجد بينها مع الأسف تمثالا لهذا الزعيم الوطنى ، بينما نجد تماثيل لآخرين كانوا ولا شك أقل منه وطنية وبطولة وتضحية

وإنا لنرجو فى هذا العهد الجديد أن يتاح لهؤلاء الأبطال أن يستردوا ما فقدوه خلال عهود الظلم القديمة ... من مكانة هم جديرون بها وخليقون أن يوضعوا فيها بعد أن اعتدلت الموازين

أنور الجندى